الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
قسم الدراسات التاريخية

السياسة العثمانية حيال البحر المتوسط
(جزيرة رودس أنموذجا)

الأستاذ المساعد الدكتور. سمير عبد الرسول العبيدي

الملخص

امتازت جزيرة رودس(١٤٠٠,٦٨٤كم٢)بموقعها الاستراتيجي في منطقة جنوب بحر إيجة ، إذ تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا؛ ولاتبعد عنه سوى١٨كم ، وهي ابعد جزر بحر إيجة عن اليونان باتجاه الجنوب ،وتقع في منتصف المسافة بينها وبين قبرص.

أدى الاحتلال الصليبي للأراضي المقدسة(١٠٩٩-١٢٩١) إلى نشأة الجماعات الرهبانية العسكرية،ومنهم فرسان القديس يوحنا، وقد جمعت بين الدين والحرب في مبادئها؛ فهي وليدة لظروف ذلك المجتمع الصليبي الناشي ونتيجة لاحتياجاته.

وفي حين انتهت غالبية هذه الجماعات عقب طرد الصليبيين، حافظ فرسان القديس يوحنا على منظمتهم، متخذين من جزيرة رودس قاعدة جديدة لمواصلة حربهم الشرسة ضد السفن والموانيء الاسلامية ، واصبحوا خبراء في البحر، وبدأ الامراء في اوربا يفكرون في الاستفادة من هذه القوة البحرية الكبيرة لمعاودة الحروب الصليبية ، فكان لفرسان القديس يوحنا دور مهم في معظم الحملات الصليبية التي شنت على دولة المماليك في مصر وبلاد الشام وعلى الدولة العثمانية التي بدأت الحرب معها عقب نجاحها في احتلال القسطنطينية عام ١٤٥٣، ثم قضائها على دولة المماليك في بلاد الشام ومصر عام ١٥١٧؛ لذا ازدادت أهمية رودس بدءاً من ذلك التاريخ، إذ تقع على طريق بحري يربط الأناضول بمصر إضافة إلى أنها أضحت مأوى للقراصنة الذين يهددون طريق الحج والتجارة ، كما إن قربها من العثمانيين جعلها تصبح موقعاً حصيناً للأساطيل المعادية، ففرض السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) الحصار على الجزيرة في ١٥٢١/٦/٢٤، وعقب معارك طاحنة لم يكتب فيه النصر لأي من الطرفين، تم التوصل إلى اتفاق بتأريخ ١٥٢١/١٢/٢١ نص على تسليم رودس مقابل السماح للفرسان بالجلاء.

. Abstract

Ottoman policy towards the Mediterranean Sea
(The island of Rhodes, a model)

Characterized the island of Rhodes (1400.684 km 2) strategically located in the southern Aegean Sea, as it is located near the southern coast of Turkey; away with him only 18 km, which is the farthest islands of the Aegean Sea from Greece to the south, located in the middle of the distance between them and Cyprus.

Led the Crusader occupation of the Holy Land (1099-1291) to the emergence of the monastic military groups, including the Knights of St. John, were collected between religion and war in its principles; is the result of the circumstances of that community crusader and as a result of new needs.

While over the majority of these groups after the expulsion of the Crusaders, kept the Knights of St. John on their organization, taking the island of Rhodes, a new base to continue their war fierce against ships and ports, Islamic, and have become experts in the sea, and began to princes in Europe are thinking to take advantage of this naval force large for the resumption of war the Crusades, was the Knights of St. John played an important role in most of the Crusades mounted on the Mamluk state in Egypt and the Levant and Ottoman Empire, which began the war with them after their success in the occupation of Constantinople in 1453, and its courts to the Mamluk state in the Levant and Egypt in 1517; therefore increased importance of Rhodes, from that date, as it lies on the sea route linking Anatolia, Egypt, in addition to that it has become a haven for pirates who threaten the pilgrimage route and trade, as the proximity of the Ottomans to make it become a site fortified fleet hostile imposition of Sultan Suleiman the Magnificent (1520-1566) blockade on the island in 24/6/1521, after fierce battles in which victory has not written any of the parties, an agreement was reached On 21/12/1521 the text of the delivery of Rhodes against the Knights allowed to evacuate.

تمهيد:(جزيرة رودس).

يُعد البحر المتوسط اكبر بحر يتوسط ثلاث قارات :آسيا وأوروبا وأفريقيا(العالم القديم).مساحته حوالي (٢٩٦٥٥٥٠)كم٢ .ويصل عمقه إلى(٤٤١٢)- وهو كما هو معروف- فانه يتصل بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق ،ويتصل بالبحر الأسود من خلال بحر إيجة عبر مضيق الدردنيل وببحر مرمرة عبر مضيق البوسفور، كما ويتصل بالبحر الأحمر عبر قناة السويس.ويضم أقساما متعددة ،هي عبارة عن بحار متداخلة معه منها الادرياتيكي وإيجة.وتنتشر فيه جزر هامة وعديدة منها قبرص وصقلية وكورسيكا[١].

تنتمي جزيرة رودسRhodes إلى مجموعة جزر الدوديكانيزDodecanese ،وعددها ١٢ جزيرة، ورودس أكبرها حجما وهي مستطيلة الشكل ومساحتها١٤٠٠,٦٨٤كم٢ ،وتقع مابين خط عرض ٣٦,١ جنوبا وخط طول ٢٨ شرقا ،وأعلى قممها جبل تايروس ١٢١٦م ، وطبيعتها صخرية وتحوي أودية خصبة تجري فيها المياه وغابات وعيون عذبة ،وعاصمتها تحمل نفس التسمية وتقع في أقصى الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة[٢].

امتازت رودس بموقعها الاستراتيجي في منطقة جنوب بحر إيجة ، إذ تقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا؛ ولاتبعد عنه سوى١٨كم ، وهي ابعد جزر بحر إيجة عن اليونان باتجاه الجنوب ،وتقع في منتصف المسافة بينها وبين قبرص[٣] .

---

(١) سيار الجميل ،البحر المتوسط : الشرعية التاريخية العربية(مساهمة معرفية في تصحيح بعض المفاهيم) ،مجلة دراسات عربية،دار الطليعة،العدد٩،بيروت،تموز١٩٨٨ ،ص١١٠.

(٢) حبيب غزالة بك ،جزيرة رودس(جغرافيتها وتاريخها وآثارها) ،مصر ،مطبعة الاعتماد ،بلا،ص٩.

(٣) موسوعة ويكيبيديا العربية Ar.wikipedia.org

١. المقدمة:فرسان القديس يوحنا في الأراضي المقدسة (١٠٩٩-١٢٩١).

أدى الاحتلال الصليبي للأراضي المقدسة إلى توافد ألاف الحجاج المسيحيين الذين رغبوا في زيارة الأماكن المقدسة، وكان تأمين الخدمات لهم خير دعاية للقيادة الصليبية في أوروبا.كما وواجهت مملكة بيت المقدس ذاتها صعوبات كبيرة في الدفاع عن كيانها أمام هجمات المسلمين المستمرة فالقادمون الجدد امنوا نوعاً من المساعدة المؤقتة. لكن لم يتبقَ منهم سوى القليل. فقد فضل الباقون الإقامة في المدن الساحلية، مثل يافا وعكا وبيروت، حيث كانت مركزاً للحياة التجارية النشيطة بسبب وصول السفن المحملة بالبضائع القادمة إليها من أوروبا، أو عادوا إلى أوطانهم[١].

في ظل المصاعب السالفة الذكر نشأة الجماعات الرهبانية العسكرية(فرسان القديس يوحنا) التي جمعت بين الدين والحرب في مبادئها- وليدة لظروف ذلك المجتمع الصليبي الناشي ونتيجة لاحتياجاته. وكانت أولى الجماعات التي اتخذت هذا النمط هي جماعة فرسان المعبد Millets Templi التي تأسست عام ١١١٨،وعلى الرغم من أن الاسبتارية كانت اسبق من حيث النشأة، إلا أن تحولها نحو الطابع العسكري كان بطيئاً، إذ لم يظهر النشاط العسكري للاسبتارية في وثائقهم حتى عام ١١٨٢[٢].

---

(١) حسن عبد الوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة (حوالي ١١٩٠-١٢٩١م/٥٨٦-٦٩٠هـ)، أسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٨٩، ص٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٩.للتفاصيل عن نشأة ونشاط الجماعات الرهبانية العسكرية ينظر: نبيلة إبراهيم مقامي (كلية الآداب- جامعة القاهرة)، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٩٤ .

بدأ التحول في نشاط الاسبتارية في عهد المرشد الأكبر Grand Master ريموند دوبوي Raymond Du Boy، الذي تولى الزعامة لمدة أربعين عاما (١١٢٠-١١٦٠)، ويعد المؤسس الحقيقي لفرسان القديس يوحنا The Knights of St- John وهو الذي إصر على إدخال كلمة فرسانKnights بدلاً من الاسم القديم منظمة مستشفى القديس يوحنا في بيت المقدس The Order of the Hospital of St- John of Jerusalem ، وهو الاسم الذي حمله رسمياً منذ عام ١١١٣[١]. تزعم فرسان القديس يوحنا فارس يحمل رتبة (المرشد الأكبر) وكان دوبوي أول من حمل هذا اللقب وتم انتخابه من فرسان القديس يوحنا أنفسهم [١].

جاءت نهاية الصليبيين مع تولي الظاهر بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧) الحكم في دولة المماليك البحرية (١٢٥٠-١٣٨٢) بمصر، وفي ٨ آذار ١٢٧١ نجح بتحرير حصن الأكراد في سوريا الذي يعد من اكبر حصون فرسان القديس يوحنا[٢]. وواصل خليفته الناصر قلاوون (١٢٧٩-١٢٩٠) جهاده وقبل وفاته لم يبق للصليبيين سوى عكا وصور وصيدا[٣] .

---

(1)E.J. King. The Knight Of St John In The British Empire, Great Britain, John Wright And Sons Ltd, 1934, P.٧.

(٢) سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ط١، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ١٩٨٤، ص ٦١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٣٣.

اعتقد الصليبيون أن وفاة قلاوون سوف تمنع خليفته الأشرف خليل (١٢٩٠-١٢٩٣) من محاولة استرداد عكا. لكنه نجح في ١٨ أيار ١٢٩١ من تحريرها، وطرد الصليبيون بشكل نهائي من الأراضي المقدسة[١].

(١) حسن عبد الوهاب حسين، المصدر السابق، ص ٣٣١-٣٣٤. للتفاصيل عن جهاد السلاطين المماليك ضد الصليبيين في المشرق العربي ينظر: ستيفن رنيسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ط٢، ج٣، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٢ ،ص ٥٤١-٦٩٣.

٢- فرسان القديس يوحنا والصراعات الاقليمية (١٣٠٨-١٤٥٣) .

بدأ فرسان القديس يوحنا ببناء دولتهم الجديدة في جزيرة رودس ، وشرعوا بتحصينها مستفيدين من خبراتهم المكتسبة في بلاد الشام واتبعوا استراتيجية عسكرية جديدة بحكم موقعهم ، فبينما كانوا يقومون سابقاً بمرافقة القوافل التي تعبر الاراضي ، برزت الحاجة الى بناء السفن لحماية الممرات المائية للتجارة والسفن المسيحية ، ولممارسة نشاطاتهم الحربية [١] .

تعود نشأة الاسطول الى القرن الثاني عشر واستخدم اساساً لنقل المؤن والتجهيزات لبلاد الشام ، وفي عام ١٢٣٠ امتلك فرسان القديس يوحنا عدة اساطيل كبيرة ، موزعة على عدة موانئ اوربية ابرزها ميناء مرسيليا الفرنسي حيث مارسوا اعمال الوساطة التجارية ، وظهر منصب قائد السفينة The commander لاول مرة عام ١٢٤٠ وحددت صلاحياته في الاجتماع الكنسي لعام ١٢٦٨ ، واستخدمت السفن وسائط نقل رئيسية عام ١٢٩١ ، وابتداء من ذلك التاريخ شرعوا ببناء سفن حربية ، وامتلك فرسان القديس يوحنا في قبرص اسطولاً من عشر سفن حربية قبل عام ١٣٠٠ ، وهذا ادى لظهور منصب جديد عرف بالادميرال Admiral وعرف لأول مرة عام ١٢٩٩ ، عندما شغله فولك دي فيلاريه Falk de filaria الذي أصبح فيما بعد المرشد الاكبر (١٣١٠-١٣١٩) ، وشملت سلطته الاسطول ، فسمح له باستئجار السفن وبحارتها ، وان يأمر الخزينة بدفع رواتبهم ، ويعمل بهذه الصلاحيات عند الرسو أو في البحر ، لكن المارشال ياخذ القيادة اذا كان حاضراً ،وعند الانزال يتولى القيادة قائد الفرسان Commander of The Knights ، واستفاد فرسان القديس يوحنا من وفرة الاشجار في رودس لبناء السفن [٢] ، و شكل أسطولهم تهديداً حقيقياً للسفن والموانئ الاسلامية في البحر المتوسط ، ساعدهم في ذلك تطويرهم لنظام تجسس ذي صيغة دولية جعلهم على استعداد دائم لرد الهجمات المباغتة [٣] .

عقد فرسان القديس يوحنا حلفاً مع حكام قبرص للمدة (١٣٠٩-١٤٢٦) . وحشدوا قواهم لمهاجمة سفن المسلمين في البحر المتوسط ، واصبحوا خبراء في البحر وبدأ الامراء في اوربا يفكرون في الاستفادة من هذه القوة البحرية الكبيرة لمعاودة الحروب الصليبية ، فكان لفرسان القديس

([1]) Hale, John Rigby, Europe In Th e Late Middle Age , first Published , London ,Faber And Faber, 1965,P.132.133 .

([2]) Jonathon Rilex-smith, The Knights of st-john , in Jerusalem And Cyprus (1050-1310) ,London.1967, p.329-330.

([3])Azizs- Atiya, crusade,commerce And Culture,USA, Indiana University Press, 1962,P.142.

يوحنا دور مهم في معظم الحملات الصليبية التي شنت على دولة المماليك في مصر وبلاد الشام وعلى الدولة العثمانية ، ولا سيما في الاستيلاء على ميناء أزمير عام ١٣٤٤ ، ونهب الاسكندرية عام ١٣٦٥ ، وفي حملة نيقية عام ١٣٩٦ (١) .

أدت هذه الحملات الى قيام السلطان المملوكي الاشرف برسباي (١٤٢٢-١٤٣٧) باحتلال قبرص عام ١٤٢٦ ، التي انسحب منها عقب فرض الجزية عليها ، ثم تحول المماليك لمهاجمة رودس نفسها حيث هاجمها السلطان الظاهر جقمق (١٤٣٨-١٤٥٣) ثلاث مرات في الاعوام ١٤٤٠،١٤٤٣، ١٤٤٤ الحملة الاخيرة هي اقواها وتالفت من مائة سفينة وثمانية عشر الف جندي ، وقد أجبرت تحصينات الجزيرة والمقاومة التي ابداها فرسان القديس يوحنا بقيادة المرشد الاكبر جان دي لاستيك Jean de acetic (١٤٣٧ – ١٤٥٤) المماليك على الانسحاب ، ولم يكن لهذه الحملات تاثير يذكر على قوة فرسان القديس يوحنا فاستمروا بممارسة نشاطاتهم البحرية المعتادة (٢) .

كانت رودس على بعد اثنا عشر ميل فقط من ساحل أسيا الصغرى الجنوبي (٣) ، ولطالما بقيت بأيدي فرسان القديس يوحنا فلن يكون بامكان الاسطوال العثماني من العمل بحرية في البحر المتوسط . وهو مايوجب القيام باجراء جذري ضد رودس(٤) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مج ١٠ ، ترجمة احمد الشنتاوي وآخرون ، مصر ، ١٩٣٣ ، ص ٢١٤ .

(٢) Aziz S-Atiya , op,cit, p.143.144 . للتفاصيل ينظر : احمد مختار العبادي ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ، ص ٢٩٦-٣٠٨ .

(3) The Encyclopedia Americana, vol23,USA. 1962,p.474.

(٤) صدر اسبق كامل باشا ، تاريخ سياسي دولة علية عثماني ، استانبول ، مطبعة احمد احسان ، ١٩٠٩ ، ص ١٦٥ .

٣- العثمانيون ورودس (١٤٥٣-١٥٢٣).

المرحلة الاولى (١٤٥٣- ١٥٢٠) .

احتل العثمانيون القسطنطينية في ١٤٥٣/٥/٢٩ وبتاثير مشاعر الزهو بالنصر ارسل السلطان محمد الثاني (١٤٥١- ١٤٨١) الى فرسان القديس يوحنا بطلب الجزية ، فرفضوا ذلك " واقسم السلطان ان يدمرهم " ، إلا أن انشغاله المستمر في جبهات اخرى حال دون ذلك حتى العام الاخير من حكمه [١] ، حيث ارسل حملة بحرية كبيرة بقيادة مسيح باشا وفي ١٤٨٠/٥/٢٣ بدأ حصار المدينة ، وقد استعد المرشد الاكبر بييردي بوسون Pierre de busson (١٤٧٦- ١٥٠٥) لهذه الحملة فعزز الحصون ، واستدعى من اوربا عدداً كبيراً من الفرسان ، وخزن المؤن ، وهدم جميع المباني خارج المدينة ، وسعى لتأمين مؤخرته بالتفاهم مع السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (١٤٦٨-١٤٩٦) الذي لم يكن راغباً باحتلال العثمانيين للجزيرة [٢] ، وكانت المدفعية العثمانية تقصف الحصون بعنف واستمر الحصار ثلاثة اشهر بدون نتيجة نظراً لحصانة المدينة وشدة المقاومة التي كبدت المهاجمين خسائر فادحة واجبرتهم على رفع الحصار [٣] ، وعاود السلطان محمد الثاني محاولته احتلال رودس، فأعد حملة جديدة في ١٤٨١/٤/٢٥ لكنه توفي في الطريق في ١٤٨١/٥/٤ [٤].

شهدت العلاقات بين الجانبين تطورا جديدا مع تولي بايزيد الثاني الحكم(١٤٨١-١٥١٢) إذ انشغل بالصراع مع اخيه الامير جم الذي لجأ الى رودس في ١٤٨٢/٧/٢٣ واسرع السلطان بمراسلة المرشد الاكبر وعرض عليه الامان وبدفع مبلغ خمسة واربعين الف دوكة ذهبية سنوياً مقابل ابقاء اخيه لديهم ، وقد قبل فرسان القديس يوحنا العرض وابقوا الاميرجم محتجزاً لديهم سبع سنوات ثم سلموه للبابا أنوسنت الثامن Innocent VIII(١٤٨٤- ١٤٩٢) وبالشروط السابقة نفسها [٥] .

([1])E.J.King , The Knights of st-John In The British, Empire, Uk, Jahn wrights And sonsltd , 1957 , p.86 .

([٢]) روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ط١ ، ج١ القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر ، ١٩٩٣ ، ص ١٤٦ .

([٣]) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٧ ، ص ٦٦ .

([٤]) روبير مانتران ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

([٥]) محمد فريد بك ، المحامي ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .

تولى السلطان سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠) الحكم بعد خلع والده وقرر ان يضع حداً للنزاع مع الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٠-١٥٢٤) [١] ، وألتقى الجيشان بمعركة جالديران في ١٥١٤/٨/٢٣ ، فأنتصر العثمانيون ودخل السلطان عاصمة الصفويين تبريز ونجح باحتلال ديار بكر وفتح بعض القلاع الاخرى ليتفرغ للحرب المرتقبة ضد المماليك [٢] .

ان انقلاب سليم الاول نحو المماليك ، لم يكن لرغبته في ان يصبح حامياً للاماكن المقدسة ولضم مصر وبلاد الشام ، فدراسة الوضع الجغرافي للاناضول عقب عمليات الالحاق الاخيرة تشير الى عدم امكانية الاتصال بين هذه المناطق دون المرور بالاراضي المملوكية ، ثم ان سليم الاول كان يعلم بوجود اتصالات بين المماليك والصفويين ، كما ان التوسع العثماني الاخير في وسط وشرق الاناضول سيثير قلق المماليك على اراضيهم الشمالية ويدفعهم لاتخاذ موقف معادي كما وشجع ضعف المماليك الصفويين على التفكير باحتلال بلاد الشام، و اتضح ذلك من احتواء الجيش الصفوي على فرقة اطلق عليها اسم (شاملو) أي بلاد الشام [٣] .

نجح السلطان سليم الاول باستدراج السلطان المملوكي قانصوه الغوري (١٥٠١-١٥١٦) الى سوريا، وتقابل معه في معركة مرج دابق شمال حلب في ١٥١٦/٨/٢٣ ، ليلحق به هزيمة ساحقة، وقتل قانصوه الغوري اثناء المعركة ، وواصل العثمانيون تقدمهم نحو مصر ونجحوا بهزيمة خليفة الغوري (طومان باي) ، ودخل العثمانيون القاهرة فانتهت بذلك دولة المماليك البرجية (١٣٨٢-١٥١٧) [٤] .

استغل فرسان القديس يوحنا مرحلة السلم التي اعقبت وفاة محمد الثاني لاعادة اعمار الحصون التي دمرت عام ١٤٨٠ اضافة للاضرار التي الحقتها الهزات الارضية ، فبوشر بترميم الحصون القديمة وبناء حصون جديدة محصنة تحصينا ممتازاً ، كما استمروا بمهاجمة السفن الاسلامية المبحرة قرب المياه العثمانية [٥] .

---

(١) ينتسب الصفويون لصفي الدين الاردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤) ، واسس احد احفاده (اسماعيل الصفوي) الدولة الصفوية في بلاد فارس (١٥٠٠-١٧٣٦) . للتفاصيل ينظر :- عباس اقبال اشتياني ، تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة علاء الدين منصور السباعي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠ ، ص ٦٣٩-٦٤٦ ؛ روبير مانتران ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨-٢١٢ .

(٢) علي حسون ، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، ط١ ، دمشق – بيروت ، المكتب الاسلامي ،د.ت ، ص ٥٥-٥٦ .

(٣) روبير مانتران ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(٤) علي حسون ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(5)Blouet, Brian . The story of Malta ,First Published London , Faber and Faber Limited , 1967,P.55

ازدادت أهمية رودس بدءاً من عام ١٥١٧ [١] ، إذ تقع على طريق بحري يربط الاناضول بمصر اضافة الى ان الجزيرة اضحت مأوى للقراصنة الذين يهددون طريق الحج والتجارة ، كما ان قربها من العثمانيين جعلها تصبح موقعاً حصيناً للاساطيل المعادية ، واضافة لذلك فقد عامل فرسان القديس يوحنا اسرى المسلمين معاملة قاسية واستخدموهم باعمال السخرة ، ووصلت رسائل كثيرة للسلطان عبرت عن استياء الراي العام بهذا الخصوص ، هذا ما عدا الروايات التي نقلها الرحالة ، والاسرى الذين بيعوا في مناطق اخرى او هربوا ،حتى اصبحت هذه المعاملة السيئة مضرب الامثال في مصر وبلاد الشام [٢] .

اخذ السلطان سليم الاول يهتم بالاسطول ، وبنى له قطعاً جديدة ، وزودها بالمدافع والرجال المدربين ، الا ان فرسان القديس يوحنا تجنبوا مواجهة الاسطول العثماني وجهاً لوجه ، ولجئوا لاعمال القرصنة فكانوا يترصدون للسفن المبحرة ويستولون عليها ويدخلون موانئهم بسرعة هرباً من مواجهة العثمانيين [٣] ،واصبحت رودس مركز اعمال القرصنة المسيحية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، ووقفت سفنهم سداً منيعاً يحول دون الاتصال بمرافئ سوريا ومصر ووصل تاثيرها الى سواحل الشمال الافريقي وحتى اسبانيا [٤] ؛ في حين رفض سليم الاول نصيحة مستشاريه رودس نظراً لمناعة استحكاماتها، وقرر الإعداد لحملة كبيرة، إلا أن وفاته في ٩/٢٢/ ١٥٢٠ حالت دون تحقيق ذلك [٥] .

المرحلة الثانية : عهد سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٢٣) .

(١) ان ضم العثمانيين للاراضي العربية ، لاسيما مكة والمدينة المنورة ، يعد بداية عصر جديد ، فلم تعد الدولة العثمانية دولة غزاة فقط ، وان العثمانيين ذاتهم قد سموا نفسهم بالغزاة ولكن في مغزى اخر ، واصبحت الدولة العثمانية هي دولة الخلافة الاسلامية ، بغض النظر عن حقيقة احقيتهم في التلقب بلقب الخلافة . ابراهيم شحاتة حسن ، اطوار العلاقات المغربية العثمانية ، ١٥١٥-١٩٤٧ ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، د.ت، ص ١٠٣-١٠٤ .

(٢) روبير مانتران ، المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٣) عمر محمد الباروني ، الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس ، مطبعة ماجي ، ١٩٥٢ ، ص ٧٧ .

(٤) رولان موسنييه ، تاريخ الحضارات العام ، المجلد الرابع (القرنان السادس عشر والسابع عشر) ، نقله الى العربية يوسف اسعد داغر ، فريد. م داغر ، بيروت – باريس ، منشورات عويدات ، ١٩٨٧ ، ص ٥٥٠ .

(٥) محمد فريد بك ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

أ-العمليات الحربية.

تولى السلطان سليمان القانوني الحكم (١٥٢٠-١٥٦٦) ، وصمم على انجاز عمل والده في بناء الدولة العثمانية ، فاحتل بلغراد عاصمة مملكة المجر في ١٥٢١/٨/٢٩ [١] ثم تحول نحو جزيرة رودس ، وتختلف المصادر في تحديد بداية الحملة ففي حين تذكر الاغلبية انه قرر غزوها مباشرة ، يذكر البعض الاخر ان سليمان القانوني ارسل الى المرشد الاكبر فيليه دي ليل آدم Filet de Lille Adam (١٥٢١- ١٥٣٤) بطلب الطاعة [٢] . دون ان توضح ما حقيقتها ، في حين ذكر البعض الاخر ان سليمان القانوني عرض ان يسلم فرسان القديس يوحنا رودس وبامكانهم البقاء وممارسة طقوسهم بحرية او الرحيل مع اسلحتهم وممتلكاتهم [٣] . وهذا امر مستبعد من كلا الجانبين ، واخيراً يذكر احد المصادر ان المرشد الاكبر لما علم بالحملة المرتقبة ارسل سفراء من قبله لاسطنبول عارضاً دفع الجزية ، قاصداً بذلك تحويل السلطان عن نيته حتى يتيسر لاوربا امداده ،إلا أن السلطان طلب منه اخلاء الجزيرة وسمح له باخذ امواله معه ، ولاي شخص اخر من سكان الجزيرة الاخرين [٤] ، وهذا الرأي هو الاقرب للصواب اذ سبق للسطان محمد الثاني ان عرض عليهم دفع الجزية ، كما ان وفاة المرشد الاكبر فابريس كاريتو Fabrice Caretto (١٥١٣-١٥٢١) جعلت فرسان القديس يوحنا منشغلين بانتخاب زعيم جديد لهم [٥] . ومن جانبه فقد اعطى اعطى سليمان القانوني هذه الحملة صفة "الحرب المقدسة" وكان هناك اعتبارات خاصة تعلق قسم منها بالسياسة الداخلية هي التي يمكن ان تفسر ، وبهذا التوقيت ، خيار فتح رودس مهما كلف الامر ، فكان الوزراء يدفعون باتجاه القيام بحملة عسكرية تم التحضير لجزء منها مسبقاً [٦] .

اما على صعيد السياسة الخارجية فقد عقد سليمان القانوني معاهدة مع حكام البندقية في كانون الاول ١٥٢١ منحهم بموجبها امتيازات تجارية متعددة [٧] ، كما اختار سليمان القانوني توقيت الحملة بشكل متقن اذ كانت اوربا منشغلة بالحروب الايطالية اذ انشغلت اسبانيا وفرنسا

---

(١)صدر اسبق كامل باشا، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .

(٣) هارولد لامب ، سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم ، ترجمة شكري محمود نديم . بغداد،دار التضامن، ١٩٦١ ،ص٦٦؛ محمد فريد بك ، المصدر السابق ، ص ٨٢.

(٤) اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج١ ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٣٢١ هـ ، ص ٥٣٤ .

(5)F.J.King ,op,cit,p.89

(6)Vatin , Nicolas,Rohdes Et Iorderde Saint- Jean-de-Jerusalem,Paris,crns Edition , 2000,P.104 .

(٧) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

بالحرب ، اضافة لانشغال البابوية بالصراع مع مارتن لوثر Martin Luther (١٤٨٣-١٥٤٦) واتباعه ، مما منع تقديم العون لفرسان القديس يوحنا [١] .

تكونت الحملة من مئة وعشرة الاف جندي مع مئة وست وثلاثين مدفعاً كبيراً رافقتهم ثلاثمائة سفينة حربية، واحتشدت القوات في بحر مرمرة وجهزت بالادوات اللازمة لحصار طويل، وعدت هذه الحملة من اكبر الحملات التي اعدت في تلك الحقبة ، وانيطت قيادتها بالصدر الاعظم مصطفى باشا [٢] .

كانت تحصينات رودس مصممة باسلوب جديد ومن المحتمل انها كانت اقوى تحصينات في اوربا ، ودعمت بحيث يمكنها الصمود امام قصف المدفعية ، واقيم مكان السور الاصلي حائط يبلغ ارتفاعه ثلاثون قدم [٣] ، وسمكه اربعون قدم يحوي شرفات ركبت عليها المدافع كما عمق وعرض الخندق المائي المحيط بالقلعة ، وعززت النقاط الخارجية في الجانب الغربي والجنوبي للقلعة باستحكامات امامية تحميها خنادق اخرى مائية وميول حادة [٤] ، وتالفت الحامية من خمسة الاف جندي نظامي منهم ستمائة من فرسان القديس يوحنا واستدعي البحارة للانخراط في سلك الحامية ودرب سكان رودس الذين اعتصموا بالعاصمة على بعض فنون الحرب [٥] ؛ وكلف قادة المجموعات الثمان [٦] للدفاع عن ابراج المدينة السبعة ، وكان لدى فرسان القديس يوحنا مهندس مدفعية ماهر من البندقية يدعى غابيريل تاديني دي مارتينيغوه **GabrielleTaelini Di Martineng** ادار المدفعية وضبط مدياتها لتغطي جميع المواقع خارج الاسوار [٧] .

اقلعت الحملة في ١٥٢٢/٦/١٨ ووصلت الى رودس في ١٥٢٢/٦/٢٤ حيث انزلت القوات والذخيرة ، وبدء بتجهيز الخنادق ومواقع المدفعية وشكلت قوة الحصار من خمس فرق ، وحوصرت

---

(١) Robin, brain,op,cit ,p.89
(٢) عثمان ثنائي ، تاريخ حرب ، مجلد ثالث ، قسطنطينية ، (أ- اصادوريان) شركت مرتبية مطبعة سي ، ١٣١٥ ، ص ٣٩ .
(٣) القدم = ٣٠.٤٨سم .
(٤) الفيلد مارشال مونتغمري ، فن الحرب عبر التاريخ ، ترجمة فتحي عبد الله النمر ، القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية ، ١٩٧١ ، ص ٣٦٠-٣٦١ .
(٥) مؤلف مجهول ، تاريخ الاتراك العثمانيين ، ج١ ، ترجمة حسين لبيب ، مصر ، مطبعة الواعظ الواعظ ، ١٩١٧ ، ص ٧٠ .
(٦) قسم فرسان القديس يوحنا الى سبعة مجموعات لغوية وهي :الافيرونية، الفرنسية ، الايطالية ، الانكليزية(بضمنها الاسكتلندية و الايرلندية)، البروفانسية، الارغونية، البرتغالية. .
(7)Vatin,Nicolas , op,cit,p.105 .

القلعة من البر ، وحفرت الخنادق على اقرب ما يمكن من اسوار القلعة وخارج مرمى نيران المدافعين بقدر الامكان ، وابحرت السفن لفرض الحصار البحري [١] .

قام المدافعون بتدمير المنشأت خارج الاسوار وتحصنوا داخل القلعة ،وفي ١٥٢٢/٧/٢٨ وصل السلطان سليمان القانوني وبدأت المعركة في اوائل شهر آب بتبادل القصف المدفعي [٢] .

امتلك العثمانيون افضل سلاح مدفعية في العالم، وبعض هذه المدافع يماثل التي استخدمت بفتح القسطنطينية ، إلا أن النتائج كانت سيئة فقد ركز المدافعون القصف على بطاريات المدفعية، فقتل قائد المدفعية وجرح عدد كبير من طواقم المدافع، ولم تتأثر الاسوار كثيرا مما اضطر المهاجمين لحفر الانفاق تحت الاسوار بقصد تدميرها بواسطة الالغام وسجل السلطان في يومياته " يلاقي حافرو الانفاق العدو الذي يستعمل كميات كبيرة من النفط المتلهب ، من دون نجاح ... " [٣] .

ومع نهاية شهر آب نجح المهاجمون بردم الخندق الامامي واندفعوا لمهاجمة الاستحكامات الرئيسية تحت ستر قصف المدفعية ورد عليهم المدافعون بقصف مضاد ، وفقدت مواقع ثم استردت ثم فقدت ثانية؛ وبشكل عام صد المدافعون اربع هجمات خلال شهر أيلول ، وفي تشرين الاول صدوا ثلاث هجمات اخرى ، ثم قاموا في تشرين الثاني بهجوم عام ضخم ، ولكن كلها كانت غير ناجحة [٤] .

أدت الهجمات العثمانية لانهاك المدافعين وتكبدهم خسائر فادحة بما فيهم عدد من القيادات المهمة ، ورغبة في تعويض ذلك تم ايفاد مبعوث الى اسبانيا والى روما على ان يذهب من هناك الى فرنسا طلباً للمساعدة ،واقام البابا ادريان السادس AdrianvI (١٥٢٢-١٥٢٣) قداسا في روما لمساعدة فرسان القديس يوحنا [٥] .

وفي ١٥٢٢ /١٢/١ قرر السلطان استخدام سلاح جديد ، فأرسل شخصاً الى داخل القلعة ليخبرهم ان السلطان سينهي الحصار بالشروط التي سبق ان قدمها [٦] .

طلب المدافعون امهالهم ثلاثة ايام للتشاور ، واثناء ذلك وصلت سفينة من كريت تحمل مئة متطوع ، ونجحت بخرق الحصار، فاختلفت الآراء وعارضت الأكثرية التسليم وعزموا على طلب مهلة

---

(١) الفيلد مارشال مونتغمري ، المصدر السابق ، ص ٣٦١ .

(2)Vatin ,Nicolas,op,cit,p.105.

(٣) نقلاً عن: هارولد لامب ، المصدر السابق ، ص ٦٨-٦٩ .

(٤) الفيلد مارشال مونتغمري ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢-٣٦٣ .

(٥) هارولد لامب ، المصدر السابق ، ص ٧٣-٧٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

اضافية واخبروا السلطان بذلك ، فكبر عليه الامر وشدد عليهم الحصار ، فعادوا لطلب الامان (١) ؛ وتم التوصل إلى اتفاق في ١٥٢٢/١٢/٢١ نص على السماح لفرسان القديس يوحنا بالجلاء عن جزيرة رودس بكامل اسلحتهم وممتلكاتهم ، ومنحهم مهلة اثنا عشر يوماً للقيام بذلك على سفنهم، فان لم تكف حاجتهم فلهم على العثمانيين حق تقديم سفن اخرى لهم على ان تبقى القوات العثمانية اثناء ذلك على بعد ميل من المدينة (٢) . أما السكان فسمح لهم بترك الجزيرة خلال مدة ثلاث سنوات مع عوائلهم وكامل ممتلكاتهم ، اما من يرغب بالبقاء فيعفى من الضرائب لمدة خمس سنوات ولهم الضمان بممارسة عقيدتهم بحرية ، واعفاء ذريتهم من ضريبة الغلمان " دفشيرمة " (٣) .

ب.الخاتمة(الجلاء عن رودس).

(١) حبيب غزالة بك ، جزيرة رودس ، مجلة الهلال ، د .ع، تموز ١٩١٢ ، ص ٥٨٦ .
(٢) صدر اسبق كامل باشا ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .
(٣) Vatin , Nicolas , OF , CIT,P.108.

أجمعت المصادر على ان شروط التسليم كانت سخية جداً ، بل عدتها المصادر العثمانية " بادرة لا تتوافق مع التوحش ، وهذه واحدة من أثارنا الروحية " [١] .

ان اسباب عرض الجلاء هي :-

١- ان الحجم الضخم للحملة يدل على معرفة السلطان بقوة فرسان القديس يوحنا ، لذا عمل على استنفاذ خياراته العسكرية كافة وكان اخرها القيام بهجوم عام على القلعة في ١٥٢٢/١١/٣٠ لكنهم اجبروا على الانسحاب بعد تكبدهم خسائر كبيرة [٢] ، وكتب السلطان في يومياته " القطعات تتغلغل داخل القلعة ولكنها تطرد الى الخارج بخسائر كبيرة " .

٢- استغرق الحصار ما يقارب الخمسة اشهر وهذا امر استثنائي لدى العثمانيين ، وتوجب على الجنود تحمل قساوة الشتاء ، فمات كثيرون منهم بسبب الاجهاد والأمراض [٣] .

٣- كان السلطان سليمان القانوني في بداية حكمه ولم يكن بمقدرته التغيب طويلاً عن عاصمته ،كما وبدات علامات للتمرد في مناطق كثيرة مثل مصر وبلاد الشام [٤] .

٤- لم تكن للسلطان مصلحة بتدمير المدينة التي ستؤول اليه ، و" في النهاية كان الموقف ازاء المنهزمين متناسباً مع الشريعة الاسلامية " [٥] .

أما فرسان القديس يوحنا فكان الموقف اكثر تعقيداً لأن عقيدتهم لا تجيز الاستسلام ، لكنهم قبلوا العرض بسبب ما يأتي :-

١- اختار فرسان القديس يوحنا القتال ، ونجحوا بصد الهجمات العثمانية المتكررة رغم التفوق العددي الكبير الذي تصل نسبته تقريباً الى ٢٠ :١ ، الا انه كما يذكر الفيلد مارشال مونتغمري " لم يكن هناك أي فرصة للمدافعين عن القلعة لتلقي الامدادات والتعزيزات من أي مصادر خارجية في حال حدوث حصار بواسطة قوة لديها السيطرة البحرية " [٦] ، وقد عانى المدافعون من نقص

---

(١) تاريخ ابو الفاروق (تاريخ عثمانيده) ، طبع اول ، در سعادت ، كتابخانه تفيض ، ١٣٢٨ ، ص ٢٩ .

(٢) عثمان ثنائي ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) هارولد لامب ، المصدر السابق ، ص ٦٩-٧١ .

(٤) Parry ,V.J, History of The Ottoman Empire To 1730 , Cambridge University Press,1976,P.8.

(٥)Vatin , Nicolas , op, cit , p.107 .

(٦) الفيلد مارشال مونتغمري ، المصدر السابق ، ص ٣٦١ .

كبير في الموارد البشرية والمؤن والذخائر ، وتفاقمت الحالة مع الموقف السلبي لدول اوربا (١) .

٢- ارجعت بعض المصادر الاوربية (٢) ، السبب الى رغبة المرشد الاكبر في حماية ارواح السكان المحاصرين ، وذهب Nicolas Vatin الى حدوث حالات تمرد بين فرسان القديس يوحنا والى انعدام الثقة بموقف السكان الى حد وصفهم " بالخونة " ، الا انه في موضع اخر يذكر نقلاً عن شاهد عيان " ان الفلاحين الذين جاؤا من الارياف كانوا نافعين وقت الحصار ، بوصفهم عمالاً يحفرون الارض وينقلون التراب اكثر من كونهم محاربين " (٣) ،و ذلك يعني ان ارائهم ليست بذات قيمة ، ثم انهم كانوا متطوعين .وقدرت المصادر العثمانية خسائر العثمانيين بحوالي خمسة وعشرون الف جندي (٤) في حين بلغت الخسائر بين فرسان القديس يوحنا حوالي النصف (٥) . (٥) .

وهكذا أبحرت خمسون سفينة في ١/١/ ١٥٢٣ حاملة اكثر من خمسة الاف شخص بما فيهم المرضى والجرحى ، وفي اليوم نفسه دخل السلطان قلعة رودس ، وبعد ذلك امر بالعودة لاسطنبول ، وابقيت حامية عسكرية لحفظ الامن ، وسرعان ما أنضمت بقية جزر الدوكاكيز سلماً ، فسيطر العثمانيون على الحوض الشرقي للبحر المتوسط باستثناء قبرص (٦) وكريت وبعض الجزر الاخرى الواقعة تحت سيطرة البندقية المتحالفة مع العثمانيين (٧) .

---

(1) Lane – Poole , Stanly , Turkey , New York , T, fishe Unwin , 1966, P.169 .

(٢) الفيلد مارشال مونتغمري ، المصدر السابق ، ص ٣٦٣ ، هارولد لامب ، المصدر السابق ، ص ٧٣ E.J.King , op,cit ,p.896, Blouet, Brian,op,cit ,p.52 .

(٣) انفرد Nicolas Vatin بمناقشة هذه الرواية اعتماداً على روايات شهود عيان . للتفاصيل ينظر : Vatin, Nicolas, OP,CIT,P.105-107

(٤) صدر اسبق كامل باشا ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٥) هارولد لامب ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٦) استمر البنادقة بدفع الجزية للماليك عقب استيلائهم على قبرص عام ١٤٧١ ، وعند سقوطهم توصلوا الى عقد اتفاقية مع العثمانيين في ١٥١٧/٩/٧ تعهدوا فيها بدفع الجزية . Parry,V.J.OP.cit,.P.77

(٧) عثمان ثنائي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ . احتل الايطاليون رودس اثناءالحرب الايطالية – العثمانية(١٩١١-١٩١٢).وعقب هزيمة ايطاليا عام ١٩٤٥ عادت لليونان.Ar.wikipedia.org


موقع معركة
ذات الصواري
شبه جزيرة
البلقان
القسطنطينية
أسيا الصغرى
ليكيا
LYCIA
رودس
كريت
قبرص
طرابلس
دمشق
عكا
البحـــر المتوســـــط
بحـــر الــــروم
الإسكندرية
برقة
مصر
البحر
الأحمر

خريطة رودس